إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الخامسة عشرة ـ العدد التاسع والخمسون ـ خريف ١٤٠٤ش/أيلول ٢٠٢٥م
https://doi.org/10.82401/roc.2025.1227970
صص ١٥٥ ـ ١٣٣

المعتقدات اللاعقلانية لشخصية أحمد عبد الجواد فی ثلاثية نجيب محفوظ (بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية) وفقًا لنموذج المعتقدات اللاعقلانية لجونز

حسن ميركمالی *
علی أصغر حبيبی (الكاتب المسؤول)
مجتبی بهروزی***

الملخص

المعتقدات اللاعقلانية هی ميول تتجلی كأهم رغبات الفرد فی حياته. هذه المعتقدات هی دالة لفهم الإنسان لظروف حياته. يمكن أن يلعب قياس المعتقدات اللاعقلانية دورًا كبيرًا فی السيطرة عليها والتخلص منها. استبيان "معتقدات جونز اللاعقلانية"، المصمم بناءً علی نظرية "ألبرت إليس"، والذی يتضمن ١٠٠ سؤال موزعة علی ١٠ مكونات، يعد أحد أفضل النماذج لتتبع مستوى المعتقدات اللاعقلانية. ثلاثية نجيب محفوظ، التی تضم روايات "بين القصرين"، "قصر الشوق"، و"السكرية"، هی مجموعة روائية من ثلاثة أجزاء. يصور نجيب محفوظ فيها عقودًا من حياة عائلة معينة بتفاصيل الأحداث والأبعاد السلوكية والنفسية لشخصياتها. تسعی هذه الدراسة، باستخدام المنهج الوصفی-التحليلی واستبيان جونز، إلی فحص المعتقدات اللاعقلانية للشخصية الرئيسية فی هذه العائلة (السيد أحمد عبد الجواد) فی الروايات. تُظهر النتائج أن شخصية السيد أحمد، بحصوله علی درجة ٢٥٩ فی استبيان المعتقدات اللاعقلانية، تُبدی من بين المكونات العشرة للاستبيان أعلی ميل نحو "الميل إلی اللوم". أهم العوامل المؤدية إلی هذا المكون فی هذه الشخصية هی طباعه الحادة فی التعامل مع أفراد عائلته، مما يؤدی بدوره إلی لومهم من قبله، وهذا السلوك ينبع من طباعه التقليدية.

الكلمات الدليلية: الرواية العربية المعاصرة، المعتقدات اللاعقلانية، نموذج جونز، ثلاثية نجيب محفوظ.

---

*. ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة زابل، زابل، إيران
**. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة زابل، زابل، إيران ali_habibi@uoz.ac.ir
***. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة زابل، زابل، إيران
تاريخ الاستلام: ١٤٤٧/٠٣/١٩ق تاريخ القبول: ١٤٤٧/٠٢/٢٧ق

المقدمة

الإيمان يعنى قبول مبدأ أو دين أو حقيقة، ويولد رد فعل واعٍ فى ظروف معينة. تنقسم معتقدات الإنسان إلى فئتين: منطقية ولاعقلانية، وهى التى تشكل عقليته ونظرته تجاه الحياة. المعتقدات المنطقية هى مجموعة من الأفكار المترابطة التى يتم تأكيدها بناءً على أدلة واستدلالات موضوعية، وتؤدى إلى تفاعل مناسب وسعادة نفسية. على النقيض، الأفكار والمعتقدات اللاعقلانية لا تتماشى مع الواقع، وغالبًا ما تكون مصحوبة بتضخيم المشكلات، وتسعى وراء أهداف قد تكون غير قابلة للتحقيق. بشكل عام، تشمل المعتقدات اللاعقلانية مجموعة من الاعتقادات التى تتشكل دون دعم تجريبى قابل للإثبات، وغالبًا ما تُعبر عنها بلغة حاسمة وملزمة. تتسم هذه المعتقدات عادةً باستخدام عبارات مثل "يجب" و"حتمًا"، وتظهر فى شكل تفكير غير مرن ومطلق يدفع الفرد إلى قبولها دون نقد. وبشكل عام، المعتقدات اللاعقلانية هى مجموعة من الأفكار غير العقلانية التى تظهر كالتزامات، وقد تتسبب فى اضطراب حياة الفرد.

كان "ألبرت إليس" منظّر المعتقدات اللاعقلانية، حيث وضع أحد عشر مبدأً لهذه المعتقدات، ثم جمعها لاحقًا فى ثلاثة مكونات. صمم "جونز" استبيانًا شاملًا بناءً على نظرية إليس، يتضمن ١٠٠ سؤال موزعة على ١٠ مكونات، ويقيس شدة المعتقدات اللاعقلانية. فى هذا الاستبيان، تتراوح درجة الفرد بين ١٠٠ و٥٠٠، وكلما زادت الدرجة، زادت شدة المعتقدات اللاعقلانية.

نجيب محفوظ (١٩١١-٢٠٠٦) أحد أعظم الكتاب العرب، حيث كتبت أعماله فى الغالب ضمن إطار الواقعية الاجتماعية والنفسية، وتتميز شخصيات قصصه بكونها مفهومة وملموسة للقراء. حصل محفوظ على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨ بفضل كتابته لروايات تتسم بالواقعية. تُعد ثلاثية محفوظ، التى تشمل روايات "بين القصرين"، "قصر الشوق"، و"السكرية"، واحدة من أفضل مئة رواية فى تاريخ الأدب العربى. (النقاش، ١٩٩٥: ١٧) تصور هذه الثلاثية حياة عقود من الزمن لعائلة مصرية فى القاهرة، وتعرف القارئ بالسمات الأخلاقية والنفسية والشخصية لأفراد هذه العائلة. بما أن هذه القصة مرنة ومتوافقة مع التحليلات الاجتماعية والنفسية، فهى مناسبة بشكل

خاص لتطبيق نموذج استبيان جونز لتحليل السلوكيات اللاعقلانية.

المفاهيم النظرية

من بين النظريات النفسية التى لعبت دورًا مهمًا فى فهم العوامل المؤثرة على الصحة النفسية، والتى حظيت باهتمام كبير فى السنوات الأخيرة، تأتى نظرية "المنطقى-العاطفى" لألبرت إليس. (روزنهان وسيليجمان، ١٣٨٢ش؛ نقلاً عن جهانى، ١٣٨٩ش: ٥-٦) كما يتضح من عنوان "المنطقى-العاطفى"، تعتمد طريقة إليس على افتراض وجود علاقة وثيقة بين ما نقوله لأنفسنا وطريقة شعورنا. بعبارة أخرى، وفقًا لاعتقاد إليس، تنبع معظم المشكلات العاطفية للأفراد والسلوكيات المرتبطة بهذه العواطف من المعتقدات والتصريحات اللاعقلانية التى يرددونها لأنفسهم عند مواجهة أحداث لا تتماشى مع رغباتهم. الأشخاص الذين يتصرفون بشكل غير معقول ولاعقلانى عند مواجهة أحداث تتعارض مع رغباتهم، يعتبرون كل أمر صغير كارثة، ويحملون اعتقادًا بأن الأحداث سيئة إلى درجة تجعل تحملها مستحيلاً. (سيف، ١٣٩٣ش: ٣٧٧)

تنقسم معتقدات الإنسان إلى نوعين: منطقية ولاعقلانية

- المعتقدات المنطقية[1]: هى تقييمات مرتبطة بما هو إيجابى تجريبيا، وتكون صحيحة وحقيقية ومنطقية، وتؤدى إلى مشاعر مناسبة. (الدوسرى، ٢٠١٨: ٢٤٩)
- المعتقدات اللاعقلانية[2]: هى تعميمات تنبع من افتراضات غير قابلة للإثبات تجريبيا، وتظهر فى شكل عبارات مثل "يجب" و"من الضرورى"، مع إصرار شديد وأفكار مدمرة تعكس تفكيرًا مطلقًا (المرجع نفسه).

آثار المعتقدات اللاعقلانية:

تُعد المعتقدات اللاعقلانية العامل الرئيسى فى إحداث الاضطرابات العاطفية،

1. Rational beliefs
2. Irrationnal beliefs

وتُعتبر سببًا للعديد من الأعراض المرتبطة بالتوتر. هذه المعتقدات، من خلال سيطرتها على تفكير الفرد، توجه سلوكه، وغالبًا ما تؤدى إلى نتائج عاطفية سلبية. تتضمن هذه المعتقدات مجموعة من المعارف والأفكار غير الواقعية، غير المرنة، وغير الملائمة، والتى تُعبر عنها عادةً فى صيغة "يجب". الأفراد الذين يعانون من الضغط النفسى غالبًا ما يفكرون بطريقة كمالية ومطلقة. مثل هذا التفكير، بسبب مواجهته للقيود والخوف من عدم القدرة على تحقيق الكمال غير الواقعى، يمكن أن يكون مصدرًا لظهور الاضطرابات. (جابر وبوجمان، ٢٠١٤: ٢١٧)

تسجيل درجات المعتقدات اللاعقلانية:

يتم تسجيل درجات استبيان المعتقدات اللاعقلانية لجونز بناءً على مفتاح مخصص لكل مقياس، وذلك على خمس درجات تتراوح من «موافق تمامًا» إلى «مخالف تمامًا». فى النهاية، يعكس مجموع الدرجات شدة المعتقدات اللاعقلانية لدى الفرد. استلهم جونز من نظرية ألبرت إليس ليصمم استبيانًا يتضمن عشرة مكونات و١٠٠ مقياس، يقيس بشكل شامل مستوى المعتقدات اللاعقلانية لدى الأفراد.

المكونات العشرة لاستبيان جونز المستمدة من المكونات الأحد عشر لإليس:

١. توقع التأييد من الآخرين (DA)
٢. التوقعات المفرطة من الذات (HSE)
٣. لوم الذات (BP)
٤. رد الفعل تجاه الإحباط (FR)
٥. عدم المسؤولية العاطفية (السيطرة العاطفية) (EI)
٦. القلق المفرط المصحوب بالتوتر (الانتباه المقلق) (AO)
٧. تجنب مواجهة المشكلات (PA)
٨. الاعتمادية (D)
٩. العجز عن التغيير (HC)
١٠. الكمالية (P) (السعيدى، ٢٠١٩: ٥٨١).

أسئلة البحث

فى هذا البحث، تم فحص المعتقدات اللاعقلانية للشخصية الرئيسية، السيد أحمد عبد الجواد، باستخدام استبيان جونز بشـــكل إحصائى وتحليلى، للإجابة عن أسئلة محددة تتعلق بالسمات النفسية والسلوكية لهذه الشخصية.

١. ما هى مكونات المعتقدات اللاعقلانية الأكثر شـــيوعًا فى شخصية السيد أحمد عبد الجواد؟
٢. ما هو العامل الأهم فى ظهور المعتقدات اللاعقلانية لدى شـــخصية السيد أحمد عبد الجواد؟
٣. ما تأثير المعتقدات اللاعقلانية لشخصية السيد أحمد عبد الجواد على علاقاته؟

خليفة البحث

لم يتم تطبيق هذا الاستبيان فى المجتمع الإحصائى للأدب، وخاصة الأدب العربى، حتى الآن، وإنما تم تطبيقه فقط فى مجال علم النفس على مجتمعات إحصائية بشرية، والتى كانت عادةً عشوائية. فيما يلى، سيتم استعراض ومناقشة بعض هذه الدراسات:أجرى أمين‌پور وأحمدزاده دراسة بعنوان «فحص ومقارنة المعتقدات اللاعقلانية لدى الأفراد المدمنين وغير المدمنين»، نُشـــرت فى مجلة دراسات الإدمان وسوء تعاطى المخدرات، العدد ١٧، عام ١٣٨٩هـ (٢٠١٠م). اعتمدت الدراســـة منهجًـــا علّيا-مقارنًا، وشملت عينـــة مكونة من ١٢٠ فردًا (٦٠ مدمنًا و ٦٠ غير مدمنين)، تم اختيارهم بناءً على العينة المتاحة ومن فئة عمرية متجانســـة. تم تطبيق استبيان المعتقدات اللاعقلانية لجونز على هذه العينة. أظهرت النتائج وجود فروق كبيرة بين متوسط درجات المعتقدات اللاعقلانية للأفـــراد المدمنين وغير المدمنين، بناءً على مســـتوى التعليم والوضع الاقتصادى. ومع ذلـــك، خلص الباحثان إلى أن درجات المعتقـــدات اللاعقلانية لدى الأفراد المدمنين كانت أعلى من تلك لدى الأفراد غير المدمنين.

فى دراســـة أخرى، نشـــر هادير عامل مجاهد مقالًا بعنوان «ألفاظ الأمراض فى ثلاثية نجيب محفوظ: دراســـة دلالية»، فى مجلة كليـــة التربية، المجلد ٢٩، العدد ٣، عام

٢٠٢٣م، مستخلصًا من رسالة ماجستير. ركزت الدراسة على فحص الخصائص الدلالية للكلمات وأصولها العربية أو غير العربية فى ثلاثية نجيب محفوظ. اعتمدت الدراسة منهجًا وصفيا لتتبع أصول الكلمات فى الثلاثية، لتحديد ما إذا كانت ذات جذور عربية أم غير عربية، ومن خلال ذلک، استكشاف الخصائص العامة للمجتمع المصرى فى تلک الفترة التاريخية. أظهرت الدراسة وجود علاقة وثيقة بين المجتمع واللغة، حيث تُعد اللغة مرآة للمجتمع، قادرة على رسم ملامحه.

الإطار التطبيقى للبحث

المعتقدات اللاعقلانية فى شخصية أحمد عبد الجواد

ملخص ثلاثية نجيب محفوظ

- بين القصرين: هذه الرواية، التى استمدت اسمها من شارع فى القاهرة، تصور حياة عائلة السيد أحمد عبد الجواد خلال الفترة من ١٩١٧ إلى ١٩١٩. يتمحور السرد حول التناقض بين استبداد الأب الأبوى وعاطفة الأم المفرطة. يفرض الأب سيطرة صارمة على العائلة بقسوة، بينما تقوم الأم بدورها ضمن إطار الأنماط التقليدية.
- قصر الشوق: بعد وفاة ابنه "فهمى"، يهدأ السيد أحمد مؤقتًا، لكنه يعود إلى سلوكياته السابقة. تواجه خديجة تحديات فى حياتها الزوجية مع حماتها. يستمر ياسين فى السير على طريق المتعة. أما كمال، الابن الأصغر، فيتجه نحو الفكر التنويرى، ومع دخوله الكلية ودفاعه عن نظرية التطور، يسلک مسار الاستقلال الفكرى.
- السكرية: يركز هذا الجزء على التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية فى مصر. السيد أحمد، الذى كان ذات يوم قوى النفوذ، يتراجع تدريجيا إلى الهامش. تستمر خديجة فى مواجهة المشكلات العائلية، لكن أبناءها هذه المرة يمثلون الجيل الجديد. يظل ياسين غارقًا فى نزواته. أما كمال، الذى أصبح مفكرًا مستقلًا، فيعيش صراعًا بين التقاليد والحداثة، ما يعكس المجتمع المصرى

فى مرحلة انتقالية.

تقديم شخصية السيد أحمد عبد الجواد

أحمد عبد الجواد، الشخصية المحورية فى ثلاثية نجيب محفوظ، يعد رمزًا للازدواجية الشخصية فى سياق المجتمع المصرى التقليدى فى بداية القرن العشرين. فهو فى المنزل أب متسلط ومستبد، بينما يظهر خارج المنزل بشخصية مرحة، لطيفة المعشر ومحبوبة. يعكس هذا التناقض الفجوة بين القيم التقليدية والرغبات الفردية فى مجتمع يمر بمرحلة انتقالية. من خلال هذه الشخصية، يبرز محفوظ تحديات الهوية الفردية والاجتماعية ببراعة. فى هذا البحث، تم فحص المعتقدات اللاعقلانية لأحمد عبد الجواد باستخدام استبيان جونز، والذى يتضمن عشرة مكونات و١٠٠ مقياس، بشكل تحليلى، مع دراسة مدى تأثير هذه المعتقدات على أفعاله وسلوكياته.

وعند تقييم الأمثلة الشاهدة المرتبطة بالمكوّنات، تُؤخَذ فى الاعتبار ثلاثة معايير أساسية: عدد الأمثلة، وجودتها، ومدى انسجامها مع المسار الرئيس للقصة، ويعَدّ المعيار الثالث هو الأهم بينها من حيث الدلالة والتحليل.

المكوّن الأول: توقّع التأييد من الآخرين (DA):

يتناول هذا المكوّن تقييم المعتقدات اللاعقلانية المرتبطة بالحاجة المفرطة إلى التأييد الاجتماعى. الأفراد الذين يمتلكون هذا المعتقد يؤكّدون على المبدأ القائل بأنه لكى يكون الإنسان ذو قيمة، يجب أن يحظى بتأييد جميع أفراد المجتمع أو على الأقل أولئك الذين يعرفونه. فى نظر هؤلاء الأفراد، قبول الآخرين وتأيدهم يعدّ من ضروريات الحياة ويشكّل المعيار الرئيسى لتقييم قيمة وأهمية أدائهم.

يشمل هذا المكوّن عشرة مؤشرات تم تضمينها فى استبيان جونز فى الأسئلة: ١، ١١، ٢١، ٣١، ٤١، ٥١، ٦١، ٧١، ٨١، و٩١.

فذكرت المرأة ابنها الصغير الذى تتستر عليه. حقا فيما لا خطر له من اللعب البرىء، وإن كان السيد لا يعترف ببراءة أى لون من ألوان اللعب واللهو، وقالت بصوتها الخاشع : إنه يلتزم أوامر أبيه. (محفوظ، ١٩٥٦: ج ١/ ١٧)

يعَدّ سيد أحمد عبد الجواد نموذجًا بارزًا للشخصية الأبوية فى سياق المجتمع التقليدى المصرى، حيث يولى أهمية خاصة لضرورة القبول والطاعة المطلقة لسلطته. كان لديه اعتقاد راسخ فى التحكّم الكامل بأعضاء الأسرة، ويتوقع أن تحظى جميع أفكاره وأوامره بالتأييد والتنفيذ.

تتجلّى هذه السمة فى مراقبته المستمرة لسلوك أبنائه، بحيث أنه بعد عودته من المجالس الليلية، يطلب من زوجته أمينة تقريرًا دقيقًا عن أداء جميع أفراد الأسرة للتأكد من التزامهم بالقوانين المفروضة.

حتى الابن الأصغر، كمال، ليس استثناءً من هذه القاعدة، إذ لا يسمح له بالاستمتاع بالألعاب المعتادة فى مرحلة الطفولة. يعكس هذا النمط السلوكى نوعًا من السلطوية المطلقة، حيث يلعب التحكّم والانضباط الصارم والحاجة إلى التأييد غير المشروط من أعضاء الأسرة دورًا أساسيا فى تشكيل العلاقات الداخلية للأسرة، ويلقى بظلاله على العلاقات العاطفية بين أفرادها.

فلعل غضبه على ما فى ذنب ياسين من تحد لإرادته واستهانة بوجوده وتشويه للصورة التى يحب أن يتصوره بها أبناؤه، كان أضعاف غضبه على الذنب نفسه. (المصدر نفسه: ٤٤٦)

إن رد فعل سيد أحمد عبد الجواد تجاه أزمة علاقة ياسين بخادمة زوجته يعود فى جوهره ليس إلى الإدانة الأخلاقية للسلوك نفسه، بل إلى تضرّر سلطته الأبوية. فغضبه لا ينبع من طبيعة الفعل، بل من العصيان والتحدّى للقوانين الأسرية.

ينظر سيد أحمد، الذى هو نفسه متورط فى علاقات سرية، إلى المسألة من منظور الحفاظ على السيطرة والنظام داخل المنزل. تعكس هذه الاستجابة أهمية المكانة الاجتماعية والتحكّم المطلق له فى بنية الأسرة الأبوية.

من اعتزازه بها ما حباه أولئک الممتازون من حب واحترام وتكريم، ولما قال له أحدهم مرة فى صدق وإخلاص : لو أتيح لک يا سيد أحمد أن تدرس القانون لكنت محاميا مفوها نادر المثال، نفخ قوله فى خيلائه الذى يحسن مداراته بظرفه وتواضعه وحلو معاشرته. (محفوظ، ١٩٥٦: ج١/ ٤٤)

يعَدّ سيد أحمد عبد الجواد شخصيةً تعتمد بشكل كبير على تأييد الآخرين وإطرائهم،

خصوصًا من الأفراد ذوى المكانة الاجتماعية الأعلى، وتُظهر افتتانًا بذلك. فهو لا يعتبر سلطته ونفوذه داخل الأسرة مجرد حقائق قابلة للنقاش، بل كأمر غير قابل للطعن، وفى الوقت نفسه يسعى فى البيئة الاجتماعية إلى ترسيخ مكانته وشأنه عبر تقدير الآخرين له، وقد أسس إطار حياته الاجتماعية استنادًا إلى هذا الاعتراف والثناء.

عندما يحظى بإطراء من قِبل الأفراد الأكثر ثراءً أو ذوى المناصب الاجتماعية العليا، تصل مشاعر الكبرياء والاعتداد بالنفس إلى ذروتها. وتعكس هذه السمة حاجة عميقة لديه إلى التأييد الخارجى كأداة لتعزيز قيمته الشخصية والاجتماعية. فى الواقع، يعدّ التأييد الاجتماعى بالنسبة له ليس مجرد مطلب، بل عاملاً أساسيا فى ترسيخ هويته وتفوقه داخل المجتمع والأسرة.

وسأل بعد ذلك باهتمام عن عواده فقالت له المرأة: إنهم لا ينقطعون، ولكن الطبيب منع المقابلة إلى حين. (محفوظ، ٢٠٠٦: ج ٢/ ٥١٤)

حتى فى أيامه الأخيرة من الحياة، ظلّ أحمد عبد الجواد منشغلًا بشؤون التأييد الاجتماعى. فقد كان يولى اهتمامًا أقلّ لحالته الجسدية، ويركّز أكثر على قياس مدى أهميته ونفوذه الاجتماعى من خلال حضور الزائرين. ويشير هذا السلوك إلى أن إحساسه بالقيمة الذاتية كان مرتبطًا بالتأييد الخارجى وليس بالرضا الداخلى، وهو أمر لم يتخلّ عنه حتى نهاية حياته.

المكوّن الثانى: التوقعات المفرطة من الذات (HSE):

يتناول هذا المكوّن تقييم المعتقدات اللاعقلانية التى يعتقد فيها الفرد أنه يجب أن يمتلك أقصى درجات الاستحقاق، الكمال والكفاءة، وأن الوصول إلى هذا المستوى من القدرة لا يتحقق إلا من خلال الجهد المستمر، النشاط المتواصل والمهارة العالية. يشمل هذا المكوّن عشرة مؤشرات تم تضمينها فى استبيان جونز فى الأسئلة: ٢، ١٢، ٢٢، ٣٢، ٤٢، ٥٢، ٦٢، ٧٢، ٨٢ و٩٢.

كان أحب إلى أن تنتهى الحياة من أن أقف ذلك الموقف المزرى كالأسير بين طغمة من اللئام وهذا المجاور المقمل مدعى الوطنية الجوعان تهجم على بكل وقاحة، لم يرع

لى حرمة ســـن أو مهابة، لم أخلق لهذا ليس «أنا» الذى يهان بتلك الكيفية، وبين أبنائى .. لا تعجب .. أبناؤک هم أصل البلوى. (محفوظ، ١٩٥٦: ج ١/ ٤٨١)

أثناء صلاة الجمعة، عندما اتهم أحد طلبة ياسين بالتجسس لصالح الإنجليز واعتدى عليه، أدى هذا الحادث إلى رد فعل شديد من سيد أحمد بعد انتهاء الواقعة. على الرغم من أن أصدقاء فهمى تمكنوا من الســـيطرة على الوضع، إلا أن سيد أحمد شعر بانزعاج شديد وحتى تمنّى الموت.

ما كان يزعجه أكثر من كل شـــىء لم يكن مجرد الاتهام الموجّه إلى ابنه، بل الإساءة إلى شـــخصيته، وخصوصًا أمام أبنائه. ووفقًا لنمطه السلوكى المعتاد، بعد تجربة الفشل والغضب، يلجأ إلى إذلال الآخرين لاستعادة شعوره بالتفوّق.

يمكن تحليل هذا رد الفعل فى إطار المعتقد اللاعقلانى "التوقعات المفرطة من الذات". كان سيد أحمد شخصًا دائمًا ما يهرب من أى فشل ويعتبر الإذلال أمرًا لا يحتمل تحمّله. وكانت الإخفاقات والانتكاسات الاجتماعية تؤثر فيه بشدة وتربكه، لدرجة أن الإهانة فى الفضاء العام للمسجد كانت بمثابة ضربة قوية له.

لم يكن من الهين عليه أن يســـلم بأول هزيمة تلحقه فى حياته الغرامية الطويلة، كان لذلک رجع شديد الأثر فى قلبه وخياله، وكان يثور كلما همس له عقله بأن الشباب قد ولى، معتزا بقوته وجماله وحيويته، ثم يصر على ذلک التعليل الذى جاهر به المرأة أمس وهو أنها لم تحبه لأن القذر لا يقدر إلا القذر... . (محفوظ، ٢٠٠٦: ج ٢/ ٣٨٨)

يمكن تحليل هذا الرد النفســـى لســـيد أحمد فى إطار المكوّن "التوقعات المفرطة من الـــذات". فقد بنى حياته على هذا المعتقـــد اللاعقلانى الذى يقضى بأنه يجب أن يكون ناجحًا دائمًا فى جميع المجالات ولا يتحمّل أى فشل أو تجاهل.

كان هـــذا النمط من التفكير يجعل الإخفاقات الحتمية فـــى الحياة تؤثر فيه تأثيرًا مدمرًا على روحه ونفسيته، وتؤدى إلى شعور بالقلق والاضطراب الداخلى. ومن أبرز السمات الشخصية التى ظهرت بكثرة فى النص، أنه إذا كان هناک عمل ينجز فى العالم من قبل شخص واحد فقط، فهو يعتقد أن هذا الشخص يجب أن يكون هو نفسه.

ثم بعد فترة صمت ودون تمهيد: عجزى عن الصلاة يحز فى نفسى حزا، فالعبادة عزاء

الوحدة ومع ذلك تمر بى أوقات غريبة أنسى فيها كافة وجوه الحرمان التى أعانيها من مأكل ومشرب وحرية وعافية،... . (محفوظ،٢٠٠٦: ج ٣/ ٢٤٤)

إن تحليل هذا الرد النفسى فى إطار المكوّن "التوقعات المفرطة من الذات" يظهر أن أحمد عبد الجواد كان دائمًا يعتقد أنه يجب أن يحافظ على سيطرته وقدرته فى جميع مراحل الحياة، بما فى ذلك مرحلة الشيخوخة.

مع الذهنية التى كوّنها، كان يعتبر نفسه شخصًا لا يقهَر، وقد أدى هذا التفكير اللاعقلانى إلى جعله غير قادر على قبول القيود الناتجة عن التقدم فى السن. لم يقتصر تأثير هذا النهج على جعله عاجزًا عن تقبّل الواقع فحسب، بل زاد أيضًا من شعوره بالقلق وعدم القيمة فى سنواته الأخيرة، مما أسهم فى عزلة نفسه.

المكوّن الثالث: الميل إلى اللوم (BP):

يتناول هذا المكوّن المعتقدات اللاعقلانية التى يعتقد فيها الفرد أن بعض الأشخاص بطبيعتهم شرّيرون وسيئون ويجب معاقبتهم بأشد العقوبات. بالإضافة إلى ذلك، يعتقد الفرد أن هو أو الآخرين الذين يرتكبون أخطاءً يجب أن يعاقبوا وينالوا العقاب المناسب.

يقيس هذا المكوّن درجة اللوم فى المعتقدات اللاعقلانية للشخصيات، ويتم تقييمه من خلال الأسئلة: ٣، ١٣، ٢٣، ٣٣، ٤٣، ٥٣، ٦٣، ٧٣، ٨٣ و٩٣ فى استبيان جونز.

فى اعتبارها يوما زوجة له، أو كأنما يعز عليه ـ ولو بعد كرور ذاك الزمن الطويل – أنها أفلتت من تأديبه والإذعان لسنته! . . وإنه ليذكر أيام معاشرته لها على قصرها – كما يذكر الإنسان حمى هاضته، وربما كان مغاليا فى تصوره، ولكن رجلا فى مثل اعتداده بنفسه جدير بأن يرى فى مجرد الرغبة عن الإذعان لمشيئته جريمة لا تغتفر وهزيمة قتالة. (محفوظ، ١٩٥٦: ج ١/ ١٢٣)

وفقًا للأمثلة الشاهدة، يشبّه أحمد عبد الجواد فترة حياته مع زوجته الأولى بـ مرحلة مرضية شديدة وصعبة التحمل. ويعكس هذا التشبيه شدة الانزعاج الذى شعر به جراء عدم طاعة زوجته.

ومن بين العوامل المؤثرة فى إثارة مثل هذه الردود الحادة واللاعقلانية فى شخصيته،

ثقة نفســـه العالية. فهو يعتقد إلى حدٍّ كبـــير أن عدم امتثال زوجته لأوامره يعد خطأً لا يغتفر ويجب معاقبته. فى هذا السياق، تتمثل العقوبة التى يرغب فى فرضها على زوجته فى الطلاق، الذى يعتبر إجراءً للومها ومعاقبتها.

فقال الصوت المتفجـــر بالغضب : لا عهد لى ولا له بهذا التدلل المائع، ولا أدرى ما الذى أتلـــف تلميذا حتى يتمادى فى مطالبه إلى هذا الحد؟ . . ولكن أما مثلك خليقة بأن تفسد أبناءها، فلو كنت أما كما ينبغى لما جسر على مفاتحتك بمثل هذا الهذر الوقح. (محفوظ،١٩٥٦: ج ١/ ١٥٠)

بعد اطلاع ســـيد أحمد برغبة فهمى فى الخطوبة من مريم، أظهر رد فعل شديد. فقد اتهم ابنه بسرعة بالفساد الأخلاقى، وعزا ذلك إلى تقصير زوجته فى تربية ابنهما. وفقًا لرؤيتـــه، كانت هذه الرغبة نتاجًا لإهمال وضعف إدارة زوجته فى الإشـــراف وتوجيه الابـــن، فكان يلوم كلًّا من المرأة والابن. يمكن تحليل هذا الســـلوك فى إطار معتقداته اللاعقلانية، والتى تنشأ من الجو العائلى السائد وطرقه التربوية. فى الواقع، تعامل سيد أحمد بســـرعة وبحدة، دون مراعاة الظروف، وبدل استخدام المنطق والهدوء لإدارة هذا الموقف، لجأ فورًا إلى اللوم والمعاقبة.

ولكن السيد كان يطالب أبناءه بالطاعة العمياء الأمر الذى لا يطيقه غلام اللعب أحب إليه من الطعام، ولهذا يعلق على إجابة فهمى قائلا بامتعاض: الأدب مفضل على العلم»، ثم يلتفت إلى كمال ويســـتطرد بحدة: «سامع يابن الكلب!» (محفوظ، ١٩٥٦: ج ١/ ٢٥)

كان ســـيد أحمد يتعامل فى المنزل بأسلوب صارم وعنيف، حتى أنه لم يسمح لأصغر أفراد الأسرة بإظهار سماتهم الطبيعية. فلم يكن يمنح كمال، الذى كان فى مرحلة الطفولة واللعـــب، أى امتياز، وكان يتوقع منه التصرف مثـــل البالغين واتباع القواعد الصارمة التى وضعها بنفســـه. عندما يرتكب كمال خطأً، لم يتعامل سيد أحمد مع الموقف بتفهّم أو بلطف، بل كان يواجهه بتوبيخ شديد، شتائم، نصائح صارمة وحتى العقاب. يعكس هذا السلوك توقعاته اللاعقلانية والوحشية تجاه أفراد الأسرة، وخصوصًا تجاه ابنه الصغير. فى الواقع، لم يكن قادرًا على التكيف مع ســـن وظروف ابنه، وكان ميله إلى اللوم غير مستثنى لأى فرد من أفراد الأسرة.

وعند ذاك دعا السيد كمال وصب عليه غضبه، حتى صاح به: «هل ظننتنى تحت أمرك أو أمر أصحابك ! . . ملعون أبوك وأبوهم»، فغادره كمال خائب الرجاء وقد ظن أن الأمر انتهى عند ذاك ... (محفوظ، ٢٠٠٦: ج٢/ ١١)

عندما قرر كمال اختيار تخصصه الدراسى خلافًا لرغبة والده، أدى ذلك إلى رد فعل حاد من سيد أحمد. فقد هاجم كمال وأصدقاؤه بالشتائم، اللوم والإذلال، مؤكدًا أنه الشخص الوحيد الذى يملك الحق فى اتخاذ القرار النهائى. ينبع هذا السلوك من وجهة نظر تقليدية وأبوية يرى فيها أن السلطة المطلقة بيد الأب، ويتوقع أن يطيع الأبناء دون نقاش. ويظهر هذا المثال بوضوح جميع المكوّنات الثلاثة للمعتقدات اللاعقلانية فى شخصية أحمد عبد الجواد: توقّع التأييد من الآخرين، حيث يتوقع أن يقبل كمال رأيه دون اعتراض؛ التوقعات المفرطة من الذات، التى جعلته يعتقد أن قوله وقراره وحده هو المعتبر ولا يقبل أى رأى مخالف؛ والميل إلى اللوم، الذى تجلّى فى إذلال، شتم وتقليل شأن كمال وأصدقائه. وتشير هذه الاستجابة إلى عدم تحمّله للاختلاف والفشل أمام أبنائه، إذ يعتبر قبول آرائهم المختلفة تهديدًا لمكانته الشخصية.

المكوّن الرابع: ردّ الفعل المصحوب بالإحباط (FR)

يتناول هذا المكوّن تقييم المعتقدات اللاعقلانية التى يعتقد فيها الفرد أنه إذا لم تجرِ الأحداث والظروف وفقًا لرغباته، فإنه سيشعر بانزعاج شديد، عجز وبؤس. مثل هذا النمط من التفكير قد يؤدى إلى حساسية مفرطة تجاه الفشل وعدم القدرة على تقبّل التغيرات والأحداث غير المتوقعة. يشمل هذا المكوّن عشرة مؤشرات تم تضمينها فى استبيان جونز فى الأسئلة: ٤، ١٤، ٢٤، ٣٤، ٤٤، ٥٤، ٦٤، ٧٤، ٨٤ و٩٤.

ومع أن السيد توقع خبراً سيئا إلا أن خياله لم يجنح فى جولته التشاؤمية إلى تلك الناحية التى أودعها ركناً مهجوراً من ماضيه، لذلك لقيت منه المفاجأة صيدا غافلا، وسرعان ما قطب كما يقطب كلما عرض له عارض من ذكريات زوجه الأولى، وتولاه لذلك ضيق، ثم انزعاج لما يمس ابنه مباشرة فى صميم كرامته، وكشأن السائلين الذين يلقون السؤال لا ليعرفوا جديدا ولكن ليلتمسوا منفذاً للنجاة من الواقع وهم يائسون، أو ليهيئوا لأنفسهم

مهلة للتروى وتمالک الأعصاب وسأله: ومن أدراک بهذا؟ (محفوظ، ١٩٥٦: ج ١/ ١٢١)

فى هذه الحالة، يمكن ملاحظة رد فعل شـــخصية ســـيد أحمد تجاه الفشل بوضوح. ففى كل مرة يتلقى فيها أخبارًا عن زوجته الســـابقة، يصاب بالاضطراب والانزعاج. واشتدت هذه المشاعر الداخلية بشكل خاص عندما أبلغه ياسين مرة أخرى بخبر زواج والدته. ومع ذلک، وللحفاظ على مكانته وشـــأنه، امتنع سيد أحمد عن التعبير المباشر عن انزعاجه. وبدلًا من ذلک، حاول من خلال طرح ســـؤال أن يخلق فرصة لاستعادة الســـيطرة على مشاعره. ويظهر هذا السلوک عدم قبوله للتغييرات الخارجة عن إرادته وسعيه لقمع ردود فعله الطبيعية عند مواجهة الفشل.

ولو فى غير الظرف الذى يدرک دقته لقال لا، ولكن كانت هناک عائشـــة، فحيال تعاســـتها تخلى عن عناده التقليدى كله، ولم يطق – خاصة بعد ما ثار حول صمت فؤاد الحمزاوى من تعليقات – أن يخيب لها رجاء ... (محفوظ، ٢٠٠٦: ج ٣/ ١٤٥)

فى هذا الموقف، اضطر ســـيد أحمد، خلافًا لمعتقداتـــه التقليدية والدائمة، إلى قبول زواج ابن خديجة من ابنة عائشـــة. ولم يكن هذا القرار نابعًا عن تغيير فى معتقداته، بل نتيجة للظروف الحرجة التى واجهتها عائشة وابنتها بعد وفاة زوجها وأبنائها، بالإضافة إلـــى عدم رغبة ابن حمزاوى فى هذا الـــزواج. ويعد هذا الإجراء واحدًا من الحالات النادرة التى انحرف فيها ســـيد أحمد عن مواقفه التقليديـــة، وقبله ليس كقرار حر، بل كاستجابة حتمية تجاه الفشل. وفى الواقع، يمثّل هذا السلوک نموذجًا للمعتقد اللاعقلانى "الرد المصحوب بالفشل"، حيث يقوم الفرد، خلافًا لرغبته الداخلية، تحت ضغط الظروف، بقبول موقف يعتبره نوعًا من الفشل.

المكوّن الخامس: عدم تحمّل المسؤولية العاطفية (EI):

يتناول هـــذا المكوّن تقييم المعتقـــدات اللاعقلانية التى يرجع فيهـــا الفرد جذور انزعاجاته، قلقه واضطراباته النفسية بالكامل إلى العوامل الخارجية وأحداث الحياة. فى هذا السياق، يعتقد الفرد أن المشاكل، والنكبات، والأحداث المؤسفة فى الحياة هى الســـبب المباشر لمشاعره السلبية، وأنه ليس لديه أى سيطرة على ردود أفعاله العاطفية.

وفقًا لهذا المعتقد، بدلاً من أن يعتبر الفرد تصوّراته، ومواقفه، وتفسيراته الشخصية مؤثرة فى تشكيل حالاته النفسية، ينكر مسؤوليته العاطفية وينسب سبب جميع تقلباته النفسية إلى البيئة والظروف الخارجية. يشمل هذا المكوّن عشرة مؤشرات تم تقييمها فى استبيان جونز فى الأسئلة: ٥، ١٥، ٢٥، ٣٥، ٤٥، ٥٥، ٦٥، ٧٥، ٨٥ و٩٥.

فواصل حديثه متسائلا فى استنكار أكنت مخدوعا بك طوال هذه السنين وأنا لا أدرى؟!... (محفوظ، ١٩٩٦،ج ١/ ٢٢٦)

وفقًا لأخلاقه الصارمة ونظرته التقليدية، لم يشعر سيد أحمد بالاضطراب نتيجة مغادرة زوجته للمنزل، بل كان المصدر الرئيسى لاضطرابه هو معتقداته اللاعقلانية وتحفظاته التقليدية. وكان أهم عامل فى هذا السياق هو وجهة نظره الشكوكية تجاه المحيطين به، وخصوصًا النساء. وقد أدت مجموعة هذه المعتقدات إلى أن يعتبر مغادرة المنزل ليست مجرد سلوك عادى، بل تهديدًا لسلطته وقيمه التقليدية. ونتيجة لذلك، كان رد فعله العاطفى الشديد وقراره بطرد زوجته من المنزل منبثقًا عن هذا الإطار الذهنى. وفى سياق المعتقد اللاعقلانى "عدم المسؤولية العاطفية"، رأى سيد أحمد أن سبب اضطرابه ليس فى طريقة معالجته الشخصية وتفسيره للحدث، بل فى فعل زوجته نفسه ومعارضتها للقيم الأسرية. وتجدر الإشارة إلى أن عوامل أخرى مثل التشاؤم والتمسك المفرط بالتقاليد لعبت أيضًا دورًا حاسمًا فى تعزيز رد فعله العاطفى.

المكوّن السادس: الإفراط فى القلق والاضطراب (AQ):

يعد هذا المكوّن أحد الأبعاد المهمة للمعتقدات اللاعقلانية، حيث يقيس مدى ميل الفرد إلى القلق المفرط والتوتر عند مواجهة الأحداث المحتملة غير السارة. ويستند هذا المعتقد اللاعقلانى إلى افتراض أن الفرد يجب أن يكون دائمًا قلقًا إذا كان هناك احتمال لحدوث حادث سيء أو خطر محتمل. وفى الواقع، يعتبر مثل هذا الشخص حدوث الأحداث غير المرغوبة أمرًا لا مفر منه، وبدلًا من إدارة قلقه، يراه رد فعل ضرورى ودائم. يتم تقييم هذا المكوّن فى استبيان جونز من خلال عشرة مؤشرات فى الأسئلة: ٦، ١٦، ٢٦، ٣٦، ٤٦، ٥٦، ٦٦، ٧٦، ٨٦ و٩٦.

أو يقول فيما يشـــبه الصراحة : البنت مشكلة حقاً .. ألا ترى أنا لا نألوا أن نؤدبها ونهذبها ونحفظها ونصونها ؟ . . ولكن ألا ترى أنا بعد هذا كله نحملها بأنفسنا إلى رجل غريب ليفعل بها ما يشـــاء.. الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه ســـواه . . » (محفوظ، ١٩٥٦: ج١/ ٣١٦)

فى حفل زفاف ابنته، تعرض ســـيد أحمد لهجوم مـــن الأفكار اللاعقلانية ناتج عن طباعه المتطرفة وتحفظاته التقليدية. ومن خلال مراجعة هذه الأفكار، توصل إلى أنه ليته لم يكن لديه ابنة، وشعر بانزعاج وقلق شديدين نتيجة تزويج ابنته من رجل غريب. ينبع هذا الرد العاطفى من معتقداته اللاعقلانية ونظرته التقليدية تجاه دور ومكانة النســـاء. وفى الواقع، كان قلقه ليس نتيجة الحدث ذاته، بل نابعًا من تفســـيره الشخصى المتحيز لهذا الموقف، مما أدى إلى اضطراب ذهنى وارتباك نفسى.

وتســـاءل أحمد عبد الجواد فى قلق بين : اخاف أن يعـــرف أن جليلة كانت يوما صاحبتى أو تعرف هى أنه ابنى! (محفوظ، ٢٠٠٦: ج ٣/ ٥٧)

عندما علم ســـيد أحمد من خلال أصدقائه أن كمال، ابنه، يزور منزل جليلة كما كان يفعل هو، شـــعر بقلق وتوتر شديدين. كان يخشى أن تخبر جليلة يومًا ابنه بما يجرى بينه وبينها، وأن تنكشف أسراره الماضية. ونشأت هذه المخاوف بشكل خاص من رغبته فى عدم المساس بمكانته وسمعته أمام ابنه، ورغبته فى البقاء فى نظر كمال كأب كامل وخالٍ مـــن العيوب. ونتيجة لذلك، أصبح خوفه من فقدان هذه الصورة المثالية التى كونها فى ذهن ابنه مصدرًا للقلق والتوتر المستمرين.

المكوّن السابع: تجنّب المشكلات (PA):

يتناول هذا المكوّن المعتقدات اللاعقلانية التى يعتقد فيها الفرد، بشـــكل غير واعٍ، أن تجنّب المشاكل والمســـائل والمهام الصعبة أسهل وأكثر ملاءمة من مواجهتها وحلّها. وفى الواقع، يظهر هـــذا المكوّن ميل الفرد للهروب من التحديات والصعوبات بدلًا من مواجهتها والسعى لحلّ المشكلات. ويتم تقييم هذا المكوّن فى استبيان جونز من خلال عشرة أسئلة، وهى: ٧، ١٧، ٢٧، ٣٧، ٤٧، ٥٧، ٦٧، ٧٧، ٨٧ و٩٧.

غـــض بصره فى كرب ويأس، لم يكن يدرى كيف يقبل ولم يكن بوســـعه أن يرفض، وكان حرصه عليها من وراء ذلک يغله ويشتت فكره، قال بصوت خفيض: أعطنى مهلة كى أدبر أمرى ... (محفوظ، ٢٠٠٦: ج ٢/ ٣٨٠)

على مدار القصة، يعرف ســـيد أحمد كشـــخصية قوية وحازمة، يتخذ دائمًا قرارات حاسمة وجدية. ومع ذلک، هناک استثناء فى سلوكه يظهر بوضوح عند مواجهة معشوقته، زنوبة. فى هذا الموقف الخاص، واجه سيد أحمد معضلة صعبة: من جهة رغباته القلبية، ومن جهة أخرى سمعته ومكانته. عندما طلبت منه زنوبة الزواج بها، لم يرد ســـيد أحمد بشـــكل حاســـم، بل طلب منها مهلة للتفكير. ويظهر هذا الرد تجنّبه المواجهة المباشرة للمشـــكلة وصراعه الذهنى مع رغباته المتناقضة. وفـــى الواقع، واجه صراعًا داخليا، وبدلًا من قبول الموقف واتخاذ قرار سريع، بحث عن وقت للهروب من هذه المشكلة.

المكوّن الثامن: الاعتمادية (D):

يتناول هذا المكوّن تقييم المعتقدات اللاعقلانيـــة التى يعتقد فيها الفرد أنه يجب أن يعتمد على الأشـــخاص الأقوى منه، أو بعبارة أخرى، يبدو له أن الحياة بدون الاعتماد على الأشخاص الأقوى صعبة أو مستحيلة. ويتم قياس هذا المكوّن فى استبيان جونز من خلال المؤشرات: ٨، ١٨، ٢٨، ٣٨، ٤٨، ٥٨، ٦٨، ٧٨ و٨٨.

قال مخاطبا محمد عفت، وكان قدسبق إلى بيته مساء ليخلو إليه قبل توافد الأصدقاء: أريد منک خدمة، أن تدعو مساء الغد زبيدة إلى العوامة !... (محفوظ، ٢٠٠٦: ج ١٢٤/٢)

على الرغم من طباعه التقليدية والاســـتبدادية التى أظهرها فى إطار الأسرة، كان ســـيد أحمد يتصرف بشـــكل مختلف فى تفاعلاته مع أصدقائه، حيث كان يستشـــيرهم فى القرارات المهمة، وخصوصًا مع محمد عفت. وينســـجم هذا الســـلوک مع ما تؤكده الدراســـات النفســـية من أنّ الحاجة إلى التفاعل وإقامة العلاقـــات الحميمة تُعَدّ من الحاجات الأساسية لدى الإنسان، وهى التى تدفعه إلى السلوک، وتشمل هذه الحاجة العلاقات الأســـرية والصداقات والتواصل مع الأشخاص المحيطين بنا وتمنحنا شعورًا بالانتماء. (زرشكى وآخرون، ١٤٠٤ش: ١٢٩)

وكان اعتماد سيد أحمد على آراء ودعم أصدقائه واضحًا بشكل خاص فى الأزمات العاطفية، مثل صراعه الذهنى مع زنوبة؛ فعندما واجه هذا التحدى العاطفى، طلب من محمد عفت الإرشاد بدلًا من اتخاذ قرار مستقل. لقد كان هذا الاعتماد العاطفى والذهنى على المشـــورة الصديقة قويا إلى درجة أن الأحداث الشخصية والعائلية ـــ مثل طلاق ياســـين وابنته ـــ لم تُحدث أى خلل فى هذا الارتباط العميـــق بينه وبين محمد عفت. ويكشف ذلك عن نوع من الاعتماد النفسى لدى سيد أحمد على الأشخاص الذين يراهم أقوى وأكثر خبرة منه، وهو اعتماد يتوافق مع حاجته الداخلية إلى التعلق والارتباط، لكنه فى الوقت نفسه يتناقض مع صورة السلطة والهيمنة التى كان يظهرها فى محيطه الأسرى.

وإلى هذا كله فآل شوكت أناس صداقتهم شرف، لا لأصلهم التركى فحسب، ولكن لمرتبتهم الاجتماعية وعقاراتهم الكثـــيرة ما بين الحمزاوى وبين الصورين... (محفوظ، ١٩٥٦: ج ١/ ٤-٢٦٣)

بعد أن طرحت زوجة المرحوم شـــوكت طلب الزواج لعائشـــة، واجه ســـيد أحمد تحديا أساســـيا. فقد كان هـــذا الاقتراح مخالفًا لمبادئه ومعتقداتـــه التقليدية، حيث أنه وفقًـــا لاعتقاداته، يجب أن يبدأ الزواج أولًا من الابنة الكبرى. ومع ذلك، لم يقاوم هذا الطلب. ولم يكن سبب قبوله هذا التغيير فى معتقداته التقليدية، بل اعتماده العميق على سلطة ونفوذ عائلة شوكت.

كان سيد أحمد على دراية تامة بأن عائلة شوكت من الشخصيات المرموقة وأصحاب النفـــوذ فى المجتمع، وأن قبول هذا الزواج يمكن أن يمهـــد الطريق للتقدم والارتقاء له ولأبنائـــه. وكان اعتماده على مصادر القوة بدرجة دفعته للتخلى عن المبادئ والقواعد التى التزم بها لســـنوات، واتخـــاذ قرار مخالف لمعتقداته. ويظهر هذا الســـلوك المعتقد اللاعقلانى "الاعتماد على الأشخاص الأقوى"، بمعنى أن الفرد يشعر أنه دون الاعتماد على مصادر القوة، لا يمكن تحقيق النجاح والاستقرار.

المكوّن التاسع: العجز عن التغيير (HC):

يتناول هـــذا المكوّن تقييم المعتقدات اللاعقلانية التـــى يعتقد فيها الفرد أن مصيره

وسلوكياته الحالية متأثرة تمامًا بتجاربه الماضية، وأنه لا يمكن إدخال أى تغيير أو تعديل على أنماط سلوكه. ويعبّر هذا النمط من التفكير عن نوع من العجز المعرفى الذى يمنع الفرد من قبول التغيير والسعى لتحسين نفسه. مثل هذا المعتقد يقود الفرد إلى الاعتقاد بأن شخصيته ومواقفه وأداءه ثابتة ولا يمكن تغييره، وأن أى محاولة للتطوير أو التغيير ستكون بلا جدوى. وفى هذا السياق، ينظر إلى تاريخ حياة الفرد كعامل حاسم فى سلوكياته الحالية، ويعتبر نفسه أسير الماضى. ويتم تقييم هذا المكوّن فى استبيان جونز من خلال المؤشرات: ٩، ١٩، ٢٩، ٣٩، ٤٩، ٥٩، ٦٩، ٧٩، ٨٩ و٩٩.

سأذكر هذه الساعة الرهيبة مدى العمر إن كان فى العمر بقية، الرصاص .. المشنقة .. دنشواى .. أأنضم إلى سجل الشهداء؟ أأصبح نبأ من أنباء الثورة يتناقله محمد عفت وعلى عبد الرحيم وإبراهيم الفار كما كنا نتناقل الأخبار فى سهرات المساء؟ تصور السهرة ومكانك شاغر؟ رحمة الله عليك .. كان وكان . . لشد ما يبكونك، وسيتذكرونك طويلا، ثم تنسى، ما أشد اضطراب قلبى سلم أمرك للذى خلقك، اللهم حوالينا ولا علينا. (محفوظ، ١٩٥٦:ج١/ ٥١٤)

بعد أن تم توقيف سيد أحمد فى طريق عودته إلى المنزل بواسطة القوات البريطانية وأُخذ لملء حفرة، شعر بخوف ورعب شديدين. وبما أنه لم يكن على علم بالهدف الحقيقى لهذه الإجراءات البريطانية، تذكر على الفور الظلم والجرائم الأخيرة التى ارتكبتها القوات البريطانية، وتصور أن مصيره قد انتهى. وفى هذا الوضع، سيطرت الأفكار اللاعقلانية والمتشائمة على ذهنه، ورأى نفسه غير قادر تمامًا على تغيير مصيره. بل تخيل سيد أحمد حتى فترة ما بعد موته، وشعر بالعجز المطلق أمام هذه الظروف. ويظهر هذا الرد قبولًا قسريا للقدر وعجزًا عن تغييره، وهو نابع من المعتقدات اللاعقلانية المرتبطة بالعجز عن التغيير.

المكوّن العاشر: الكمالية (P):

يتناول هذا المكوّن تقييم المعتقدات اللاعقلانية التى يعتقد فيها الفرد أنه لكل مسألة وتحدٍ يوجد حل واحد صحيح، كامل وشامل فقط. وفى هذا الإطار الفكرى، يعتقد

الفرد أنه إذا لم يتمكن من إيجاد هذا الحل المثالى، فإن عواقب كارثية ستحدث. وقد يؤدى هذا النمط من التفكير إلى القلق، والتسويف، والعجز عن اتخاذ القرار، لأن الفرد دائمًا يبحث عن خيار بلا عيب ويرفض قبول الحلول البديلة. ويتم تقييم هذا المكوّن فى استبيان جونز من خلال عشرة مؤشرات محددة فى الأسئلة: ١٠، ٢٠، ٣٠، ٤٠، ٥٠، ٦٠، ٧٠، ٨٠، ٩٠ و١٠٠.

وغلبته أعصابه الثائرة المنهكة فجأة، فقال بعناد: سوف أسألها هذا المساء، إنى ذاهب إليها الآن . . حققت لک کل رغباتک فينبغى أن تحترمى حقوقى كاملة. (محفوظ، ٢٠٠٦: ج ٣/ ٣-٢٧٢)

فى مواجهة شكوكه وتردّداته بشأن تصرف زنوبة، والتى نشأت عن طباعه التقليدية والشكوكية، رأى سيد أحمد أن الحل الوحيد الممكن لتخفيف قلقه الذهنى هو الذهاب إلى منزل صديقة زنوبة. وقد قام بهذه الخطوة بهدف التحقق من صحة أو عدم صحة ادعاء زنوبة بشأن تواجدها فى منزل صديقتها الليلة الماضية. ويظهر هذا الرد ميله للحصول على اليقين والاطمئنان بشأن الموقف، خصوصًا عندما يكون ذهنه متأثرًا بالاضطرابات النفسية. وفى هذا الموقف، بدلًا من مواجهة مخاوفه وشكوكه الداخلية مباشرة، لجأ سيد أحمد إلى أساليب تقليدية وملموسة لتخفيف القلق واستعادة الهدوء الذهنى. ويعود هذا السلوک إلى معتقداته اللاعقلانية، التى ترى أن مواجهة الحقائق الملموسة وحدها قادرة على تخفيف قلقه.

قام من المرض هذه المرة – بعد أن ألقى عليه درسا لا ينسى ـ وهو يؤمن ببطشه ويخاف عواقبه فصدقت نيته على التوبة، وقد كان يؤمن دائما بأن التوبة آتية مهما طال بها الانتظار، فاقتنع بأن تأجيلها بعد ذلک ضرب من السفه والكفر بنعمة الله الرحيم . وكان كلما طافت به ذكريات اللهو تعزى بما ينتظره فى حياته من مسرات بريئة، كالصداقة والطرب والفكاهة، لذلک دعا الله أن يحفظه من وساوس الشيطان وأن يثبت قدميه فيما اعتزم من توبة وراح يتلو ما تيسر من السور القصار التى يحفظها. (محفوظ، ٢٠٠٦:ج٣/٥٣١)

بعد شفائه من المرض وفى فترة الشيخوخة، أدرک سيد أحمد أن الطريقة الصحيحة

والملائمة الوحيدة للتحرر من همومه النفسية وتعزيز حالته الروحية هى التوبة والعودة إلـــى الذات. وبالنظر إلى وعيه بمرور الوقت وأنه ليس لديه الكثير من الفرص لمواصلة الحياة، قرر التوبة عن أخطائه السابقة. ويظهر هذا القرار، خصوصًا بالنظر إلى معتقداته الدينية والروحية، تأملاته العميقة حول معنى الحياة وأهمية الاستعداد للآخرة. وبالنظر إلى الماضى وتقييم وضعه الحالى، رأى ســـيد أحمد أن التوبة هى السبيل الوحيد الذى يمكن أن يخلصه من القلق الداخلى ويمنحه بصيص أمل فى النجاة فى الآخرة.

جدول١ مجموع المعتقدات اللاعقلانية لأحمد عبد الجواد:

المكون	عدد الأمثلة الشاهدة	الدرجة
١- توقّع التأييد من الآخرين (DA)	٤٥	موافق تمامًا
٢- التوقعات المفرطة من الذات (HSE)	٤٠	موافق تمامًا
٣- الميل إلى اللوم (BP)	٦٨	موافق تمامًا
٤- ردّ الفعل المصحوب بالإحباط (FR)	١٢	مُخالِفٌ إلى حدٍّ ما
٥- عدم تحمّل المسؤولية العاطفية (EI)	١٧	مُخالِفٌ إلى حدٍّ ما
٦- الإفراط فى القلق والاضطراب (AQ)	٣٣	لا يتفق ولا يختلف
٧- تجنّب المشكلات (PA)	١٤	مُخالِفٌ إلى حدٍّ ما
٨- الاعتمادية (D)	٢٧	لا يتفق ولا يختلف
٩- العجز عن التغيير (HC)	١٩	مُخالِفٌ إلى حدٍّ ما
١٠- الكمالية (P)	١٥	مُخالِفٌ إلى حدٍّ ما

استنادًا إلى الجدول أعلاه، تُعَدّ المعتقد اللاعقلانى "الميل إلى اللوم" الأكثرَ بروزًا فى هذه الشـــخصية، تليه على التوالى "توقّع التأييد من الآخرين" و"التوقّعات المفرطة من الذات". أمّا فى المرتبة الأخيرة، فتأتى الاستجابة المصحوبة بالإحباط وتجنّب المشكلة.

النتيجة

درجة المعتقدات اللاعقلانية لسيد أحمد عبد الجواد=٢٥٩

تحليل شخصية سيد أحمد عبد الجواد، الشـــخصية المحورية الثلاثية لنجيب محفوظ،

استنادًا إلى اســـتبيان جونز، يظهر وجود ثنائية بارزة فى سلوكه. فهو فى بيئة الأسرة شخص تقليدى ومستبد، أما بين أصدقائه فيظهر كشخص محب للمرح والرفاهية.

تشـــير النتائج الإحصائية إلى أن المكوّن "الميول إلى اللوم"، بنســـبة ٢٣٪ ووجود ٦٨ مثالًا، هو الســـمة الأبرز لديه، والتى تنبع من قيمه التقليدية وسلطويته. ويعدّ "توقع التأييـــد من الآخرين" (١٦٪) و"التوقعات المفرطة من الـــذات" (١٤٪) من المكوّنات البارزة الأخرى، والتى تتفاعل بشكل وثيق مع بعضها البعض ولها دور مهم فى تشكيل سلوكياته.

فى المقابل، يمتلك المكوّن "الاســـتجابة المصاحبة للفشـــل" أقل تكرار (٤٪)، ولا يتوافق مع باقى سمات شـــخصيته. وقد أدت المعتقدات اللاعقلانية لهذه الشخصية إلى خلق فجوة عاطفية وعلاقات أسرية غير فعّالة، والتى أسفرت عن عواقب خطيرة مثل وفاة فهمى، الانحراف الأخلاقى لياسين، وأزمة الهوية لدى كمال.

بشـــكل عام، فإن درجة ٢٥٩ للمعتقدات اللاعقلانية لدى هذه الشخصية أعلى من المتوسط، ما يعكس شـــدة هذه المعتقدات نسبيا. ومع ذلك، فقد أدت بعض التحولات السلوكية فى سنواته الأخيرة إلى تخفيف حدة هذه السمات.

المصادر والمراجع

استادى، رضا. (١٣٧٤ش). بررسى رابطه بين باورهاى غير منطقى و عزت‌نفس در دانش‌آموزان پايه چهارم. رسالة ماجستير بجامعة العلامه الطباطبايى: طهران.

جابر نصر الدين، نادية بومجان. (٢٠١٤). "الاتجاهات الرائدة فى الإرشـــاد المعرفى السلوكى". مجلة علوم الإنسان والمجتمع. العدد ٦. صص ٢٣٤-٢٠٥

الدوســـرى، فاطمة بنت على. (٢٠١٨). "الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها بالصلابة النفسية لدى عينة من السجينات بمدينة الرياض". جامعة عين شمس، مجلة الارشاد النفسى. العدد ٥٤. صص ٢٧٥-٢٣

زرشـــكى، فرامرز؛ روشنفكر، كبرى؛ متقى‌زاده، عيســـى. (١٤٠٤ش). "دراسة نفسية فى شخصيات رواية *أرواح كليمنجارو* فى ضوء نظرية الاختيار لجلاسر". فصلية إضاءات نقدية فى الأدبين العربى والفارسى. السنة الخامسة عشرة. العدد ٥٧. صص ١٤٧-١٢١

الســـعيدى، عبد الرحمن منصور، عونى معين شاهين. (٢٠١٩). «الأفكار العقلانية وغير العقلانية لدى الموهوبين». مجلة كلية التربية جامعة اســـيوط، المجلد الخامس و ثلاثون. العددالعاشـــر. صص٥٩٦

٥٧٨-

سيف، علی اكبر. (١٣٩٣ش). تغيير رفتار و رفتار درمانی نظريه ها و روش ها. ط٣. طهران: ديدآور.
شـــهپری، راحله. (١٣٩٥ش). رابطه ســـاده و چندگانه باورهای غيرمنطقی و مكانيسم‌های دفاعی (رضايت‌يافته، رضايت‌نيافته، نوروتيک) با سرسختی روان‌شناختی دانش‌آموزان دختر دبيرستانی. رسالة ماجستير. جامعة آزاد الإسلامية: ملارد.
الصباح، سهير سليمان؛ والحموز، عايد محمد. (٢٠٠٧). الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها ببعض المتغيرات لدى طلبة جامعات الضفة الغربية فی فلسطين. مجلة اتحاد الجامعات العربية. العدد ٤٩. صص ٢٨٤-٣١١.
عصام، الطيب. (٢٠٠٦م). أساليب التفكير (نظريات ودراسات وبحوث معاصرة). القاهرة: عالم الكتب.
عطيه، أحمد محمد. (١٩٨٣). مع نجيب محفوظ. ط٢. بيروت: دار الجيل.
الغامدی، غرم الله عبدالرزاق. (٢٠١١). «التفكير العقلانی والتفكير غير العقلانی ومفهوم الذات لدى عينة من المراهقين والمتفوقين دراسيا والعاديين بمدينتی مكة المكرمة وجدة». مجلة دراسات عربية فی التربية وعلم النفس. صص ١٠٥-١٤٥
محفوظ، نجيب. (١٩٥٦). بين القصرين. القاهرة: مكتبة مصر.
ـــــــــــ (٢٠٠٦). السكرية. القاهرة: مكتبة مصر.
ـــــــــــ (٢٠٠٦). قصرالشوق. القاهرة: مكتبة مصر.
ـــــــــــ (١٣٨٨ش). خانه بدنام. ترجمه حسين شمس آبادی. ط١. طهران: روزگار.
النقاش، رجاء. (١٩٩٥). فی حب نجيب محفوظ. ط١. القاهرة: دار الشروق.
الهوارى، أحمد إبراهيم. (٢٠٠٢). البطل المعاصر فی الرواية المصرية. ط٤. القاهرة: عين للدراســـات والبحوث الإنسانيه والاجتماعية.